محاضرة في علم الاجرام

الاتجاهات العلمية في تفسير السلوك الإجرامي

التفسير البايولوجي

يضم هذا التفسير عدد من المدارس البايولوجية التي اهتمت بدراسة المجرم من الناحية التكوينية اي دراسة المظاهر العضوية له والجوانب النفسية وتتمثل تلك المدارس بالمدارس التكوينية والمدارس النفسية

المدارس التكوينية

ويقصد بها تلك التي تربط بين الجريمة والتكوين لعضوي للمجرم سواء من حيث الشكل الخارجي لاعضاء جسمه أو من حيث اداء اعضائه الداخلية لوظائفها وتضم هذه المدارس المدرسة التكوينية التقليدية والمدرسة التكوينية الحديثة

عنوان المحاضرة

المدرسة التكوينية التقليدية

- تفسير لومبروزو
- تفسير جورنج

اولاً : تفسير لومبروزو

لومبروزو وهو طبيب ايطالي يعمل في الجيش مما اتاح له فرصة البحث الجنائي ودراسة أسباب الظاهرة الاجرامية بصورة خاصة وبحث هذه الاسباب في شخص المجرم وبدأ جهوده العلمية بالتامل في سلوك بعض الجنود المنحرفين بفحصهم ودراسة المظاهر العضوية والتكوين الجسماني لهم بغية تخصيص الخصائص المشتركة بينهم ومن ثم مقارنة هذه الخصائص مع الجنود الاسوياء وقد لفت نظر لومبروزو وجود الرسوم القبيحة والوشم على اجساد هؤلاء الجنود وكذلك وجود شذوذ بدني لدى البعض منهم ممن اقترف جرائم تتسم بالعنف والقسوة مما ولد لدى لومبروزو القناعة بان هناك نموذج للانسان المجرم بطبيعته أو بالفطرة اي أنه يمتلك خصائص بيولوجية معينة تجعله مجرماً منذ ولادته .

فالمجرم بنظر لومبروزو يختلف عن الإنسان السوي في تكوينة البنائي الخارجي (الهيئة الجسمانية) وكذلك في تكوينه الجسماني الداخلي وفي بناءه السيكولوجي والعقلي .

وذهب لومبروزو إلى أن المجرم يتصف ببعض مظاهر الشذوذ في تكوينه الجسماني اطلق عليها علامات الرجعة واطلق عليها هذا الاسم لانها تدل على عدم انسجامه وارتداده إلى الإنسان البدائي الاول وان هذه العلامات الارتدادية التي يتميز بها الإنسان البدائي هي ذاتها الخصائص البيولوجية التي يتصف بها الإنسان البدائي وهذه النتائج ضمنها في كتابه (الإنسان المجرم) عام ١٨٧٦ وكان يهدف إلى اثبات الطبيعة الوراثية للاجرام كون ذلك من شأن الطبيعة الا وهو املاء صيغة الجريمة ومن الملاحظ أن لومبروزو اعتقد أن السبب الاساسي للجريمة يكمن في بناء الشخصية الفردية .

حيث قال بان نصفها جسمي (شكل الوجه وتركيب الجسم) والنصف الاخر اخلاقي وانها ترتكز على التكوين الوراثي للمجرم لان شخصيته منذ ولادته هي التي تقوده حتماً إلى الجريمة. وقد اجرى لومبروزو تعديلات على تفسيرة في طبعات كتابه عام ١٨٩٦ و ١٨٩٧ حيث قال (أن العلامات الارتدادية لاتسبب بمفدرها السلوك الإجرامي وانما يجب أن تتفاعل مع شخصية من يحملها فيما اذا هيأت لها الظروف لانتاج السلوك الإجرامي) وبذلك انتهى إلى نتيجتين هما :

أ- أن العلامات الارتدادية تكون موجودة لدى اغلب المجرمين وليس جميعهم كما يمكن أن تكون لدى غير المجرمين .

ب- لايمكن لعامل الوراثة بمفرده من تحقيق الجريمة بل لابد من أن تتوافر معه عوامل معينة أخرى يكتسبها الفرد بعد الميلاد مما يعني أن الخصائص البيولوجية والتشريحية للاجرام ليست هي

سبب الجريمة ولكنها عوامل مساعدة تساهم في مضاعفة قابلية الفرد لارتكاب الجريمة .
لاثبات الصفات العضوية قام لومبروزو بفحص عدد من المجرمين الاحياء وتشريح جمجمة ١٣٨٣ لمجرمين متوفين وكانت النتيجة لدية رسوخ القناعة بتحقق علامات الرجعة أو العلامات الارتدادية لدى بعض المجرمين بالاضافة إلى ذلك تبنيه لمبدأ الجبرية في اسناد المسؤولية الجزائية دون مبدأ الارادة الحرة وقد تجاهل لومبروزو دور العوامل الاجتماعية في احداث السلوك الإجرامي ومن ابرز الحالات التي بحثها لومبروزو هي :

١- المجرم (فيليلا) الذي كان لص وقاطع طريق حيث قام بفحصة وهو حي وتشريح جثته بعد مماته وقد لاحظ لومبروزو أن لديه تجويف في قاع الجمجمة مشابه لما موجود لدى بعض الحيوانات الدنيا كالقرود والطيور كما يتميز بخفة غير عاديه في حركته ومغروراً بنفسه ومحب للسخرية والاستهزاء من الاخرين وبالتالي خلص إلى أن المجرم وحش بدائي تتوافر فيه بطريق الوراثة خصائص الإنسان البدائي وبالتالي ربط بين الاجرام والتخلف العضوي .

٢- المجرم (فرسيني) والذي قتل (٢٠) امرأة بطريقة وحشية مع شرب دماؤهم قبل دفنهم وظهر له بان هذا المجرم يتصف ببعض الخصائص الجثمانية والتشريحية للانسان البدائي .

٣- المجرم (مسديا) وهو جندي ومصاب بالصرع وقتل (٨) اشخاص اثناء نوبه صرع وقد لاحظ لومبروزو بان نوبه الصرع التي اصابت مسديا بانها وراثية اضافة إلى أن سلوكه كان متسماً بالوحشية والحيوانية وعليه اعلن أن العلاقة بين الاجرام والصرع علاقة وثيقة واعتبر المجرم الصرعي من ضمن فئة المجرمين بالميلاد (بالفطرة) وقد قسم لومبروزو المجرمين إلى ثلاثة فئات هم (١- المجرم بالميلاد (بالفطرة) ٢- المجرم المجنون ٣- المجرم بالعاطفة) ثم اضاف فئتين اخرتين هما (المجرم بالصدفة والمجرم المعتاد) وهو ما سنتكلم عنة .

١- المجرم بالفطرة : وهي الفئة المميزة ومحور نظريته حيث يولد هذه الفئة وفي نفسة بذرة الاجرام ويرث عن اباءه مجموعة من الخصائص الجسمية والعقلية التي تفضي به إلى الانحراف الإجرامي واقترح لهم لومبروزو علاجاً وهو الابعاد النهائي إلى محل ناء ليأمن المجتمع على كيانه أو احتجازهم مؤبد أو عزلهم في مكان مع فرض اشد الرقابه عليهم والافضل لدى لومبروزو قتله لانه لاسبيل للوقايه من شروره الا بهذا الاسلوب . ويتميز مجرمي هذه الفئة بمظاهر شذوذ بدني تظهر في ملامحهم اهمها عدم انتظام الجمجمة وضغر حجمها وبروز عظام الوجنتين وشذود في حجم الاذنين وضخامة الشفتين وغزارة في شعر الرأس كما يتميز بصفات نفسية كالقوة البالغة وحب الشر وانعدام الاحساس بالالم أو اللامبالاة وعدم الشعور بتأنيب الضمير وعدم الحياء .

٢- المجرم المجنون : وهو الشخص الذي تصبح حالته خطرة بسبب الجنون وان الجنون حالة سابقة على حالة الخطورة كون يفقد ملكة التمييز بين الخير والشر بسبب الجنون وان علاج هذه الفئة يكون بوضعة في مصح أو مأوى علاجي معد لذلك لدرء خطره حتى يشفى أن امكن إما اذا تعذر علاجه فالافضل استئصاله وتخليص المجتمع من شره . وقد قسم لومبروزو هذه الفئة إلى

أ- المجرم المجنون : وهو الشخص المصاب بنقص في عقله ويدخل ضمن هذه الفئة حالات انفصام الشخصية وجنون العقائد الوهمية ومدمن الخمور والمخدرات .

ب- المجرم الصرعي : وهو الشخص المصاب بمرض الصرع الوراثي والذي غالباً ما يؤثر على العضلات والاعصاب والتوازن النفسي والذي يتحول إلى مرض عقلي متى ما تفاقم لديه المرض أو ازدادت مضاعفاته وفي هذه الحالة يصنف كمجرم مجنون .

ج- المجرم السيكوباتي : وهو الشخص المصاب بخلل أو شذوذ بسبب قواه النفسية فيؤدي إلى انحراف نشاطها عن السير الطبيعي ويعتبر مجرم السيكوباتي من اهم حالات التخلف النفسي التي لها علاقه وثيقة بالسلوك الإجرامي واهم مايميز هذا المجرم هو عجزه عن التحكم بغرائزه .

٣- المجرم بالعاطفة : وهو الشخص الذي يتميز بحساسية خاصة تجعلة يتأثر بسرعة فيخضع للانفعالات والعواطف المختلفة ممايدفعه نحو ارتكاب الجريمة دون سبق اصرار أو عزم وتصميم وبعد ذلك يرجع إلى مزاجة العادي والطبيعي فيشعر بتأنيب الضمير والصفة الغالبه على جرائمه هي جرائم الاشخاص والجرائم السياسية .

وبما أن هذا المجرم يندم بسرعة فلا فائدة من عقابه لذا يفضل لومبروزو عدم اخضاعه للعقوبة فقد تفقده وتجعل منه مجرم بالعادة ويفضل ابعاده عن الوسط الذي ارتكب فيه الجريمة والزامه بتعويض الضرر الذي تسبب به أوعدم تنفيذ الحكم ضده لان وقف التنفيذ قد يحثة على التوبة ويسرع في تحقيقها .

٤- المجرم بالعادة : هو الشخص الذي يكتسب الاجرام من محيطه ويعتاد على ارتكاب الجرائم بتأثير الظروف الاجتماعية وان الصفة الغالبة لجرائمه هي جرائم الاعتداء على الاموال وخاصة جرائم السرقة وذهب لومبروزو إلى ضرورة العناية بهذا المجرم من خلال فرض رقابة مقرونة بالتوجية والارشاد وتنسيب اعمال مناسبة له حسب امكاناته الذهنية وقدراته البدنية لمدة زمنية غير محدودة تنتهي بزوال الحالة الخطرة وتحقق صلاحه واذا اقتضى الامر يمكن عزله عن المجتمع ليؤمن شره .

٥- المجرم بالصدفة : وهو الشخص الذي لايتوفر فيه الميل الاصيل للاجرام الا انه يتميز بضعف الوازع الخلقي بحيث يتأثر بسرعة المتغيرات الخارجية فيعجز عن تقدير نتائج تصرفاته واعماله لذلك فهو يرتكب الجريمة بدافع حب الظهور أو التقليد .

واما الجزاء المناسب له لا يتحقق بتطبيق العقوبه لانها يمكن أن تؤثر في سلوكه من خلال اختلاطه بالمجرمين لذا يفضل ابعاده عن محيطه وايداعه في مجتمعات زراعية أو صناعية لمدة زمنية غير محددة تكون مرتبطة بتحسن حالته مع الزامه بتعويض الضرر الذي احدثه .

مميزات وعيوب نظرية لومبروزو

اولاً : مزايا نظرية لومبروزو

١- استخدام لومبروزو للاسلوب التجريبي مما مهد الطريق امام البحوث والدراسات الخاصة بتحليل الظاهرة الاجرامية وادى لظهور علم الانثروبولوجيا الجنائية الذي اهتم بدراسة المظاهر العضوية والنفسية للانسان المجرم .

٢- له الفضل في استخدام أسلوب المقارنة الاحصائية بين المجرمين وغيرهم وبالتالي فتح الباب امام الدراسات العلمية والابحاث التي تعتمد الاحصاء اساساً للتوصل لمعرفة الاختلافات البيولوجية بين المجرمين .

٣- أن أسلوب لومبروزو كان متسماً بالابتكار من حيث المنهج حيث قام بنقل المنهج العلمي التجريبي من العلوم الطبيعية إلى ميدان العلوم الجنائية .

٤- اتسم اسلوبه بالابتكار من حيث الصياغة حيث نجح في صهر اراء العلماء والباحثين السابقين ثم اعاد صياغة اراءهم باسلوب جديد ضمنه ثمرة تجاربه واستنتاجاته التي توصل إليها .

٥- اثرت نظريته بالسياسة الجنائية وقتذاك فاعتمدت الكثير من ارائه وخاصة المتعلقة بفئة المجرمين بالولادة والتي يخضع المجرم فيها للميل الإجرامي .

ثانياً : نقد نظرية لومبروزو

١- أن اعتماد تفسير السلوك الإجرامي على دراسة الناحية التكوينية للمجرمين فقط قاصر بطبيعته عن الاحاطة بالسلوك الانساني في مفهومه الواسع .

والسبب في ذلك أن لومبروزو لم يطلع على جميع الخصائص البيولوجية لجميع الافراد المجرمين والاسوياء عند اجرائه الفحص وكذلك العدد القليل نسبياً للعينة وايضاً أن العينة محل الابحاث لم تكن ممثلة تمثيلاً صادقاً فاغلب المجرمين الذين خضعوا للابحاث هم من مجرمي العنف وبصفة خاصة القتل وهي ليست الفئة الوحيدة التي تشملها الظاهرة الاجرامية وايضاً فان لومبروزو لم

يستخدم المجموعة الضابطة في ابحاثة حيث لم يقارن بين ذات العدد من المجرمين والاسوياء على الرغم من استخدامة للمجموعة الضابطة فيما يخص جرائم النساء ويضاف إلى ذلك فانه لجأ إلى التعميم الخاطئ في استخلاص نتائجة حيث ما توصل له من نتائج كانت بصدد حالات فردية محددة ولكنه ذهب بالقول بانها تنطبق على كافة المجرمين وهذا غير صحيح كون التعميم الصحيح يكون وليد الاستقراء الذي يعتمد على تعدد الحالات الجزئية وقيامها على ذات العلة .

٢- لايمكن التسليم بان كل من يتميز باخصائص العضوية والنفسية التي حددها لومبروزو هو انسان مجرم حتى لو لم يرتكب الجريمة .

والسبب لصعوبة الاحاطة بالنفس الانسانية كما تصورها لومبروزو حيث مهما بلغ العلم يبقى عاجز عن معرفة كوامن النفس الخفية فالخطورة الاجرامية تكمن في اعماق النفس وليس في مظهرها الخارجي للانسان إذ أن الجريمة تقترف بالنفس قبل الجوارح .

٣- لم يثبت علمياً توافر علامات الرجعة أو الارتداد لدى الإنسان البدائي وما يصاحبها من ميل طبيعي إلى اقتراف الجريمة .

والسبب أن المجتمعات البدائية لم يلاحظ فيها تأصل الروح الاجرامية وانما يشهد سلوكها على براءتها والدليل أن هابيل اختار أن يكون مقتولاً لا قاتلاً حيث تمثل خير دليل على كونها نموذج لطبيعة الخير والسماحة والطيبة والشر والعدوان .

٤- لايمكن التسليم بوراثية الاجرام وما يترتب على هذا الرأي من نتائج والدليل أن الإنسان يمكن أن ينهج نهج الخير أو الشر سواء كان فطرياً ام مكتسباً لذا ليس من المقبول علمياً ومنطقياً القول بوجود مجرم بالولادة .

فمن جهة العلم لم يثبت نقل الخصائص الاجرامية أو السلوك المنحرف بالوراثة كون السلوك لا يورث ومن جهة المنطق فان دراسة التاريخ القديم والحديث يدل على خلاف ذلك والواقع المعاصر ايضاً والاهم لو سلمنا بفطرية الاجرام لكان من الظلم معاقبة انسان على فعل مجبر على ارتكابه .

ثانياً / تفسير جورنج

جورنج طبيب بريطاني يعمل في السجون مما اتاح له فرصة اجراء الدراسة والبحوث التي اعدت أساساً لنظريته وخلال مدة ثمان سنوات فحص عينة تشمل (٣٠٠٠) مجرم محكوم وشملت المجموعة الضابطة المدنيين وخاصة المهندسين والمرضى الراقدين بالمستشفى وكان يهدف من الدراسة التحقق من صحة علامات الرجعة التي نادى بها لومبروزو وقد صنف المجرمين إلى عدة طوائف حسب نوع الجريمة المقترفة ثم قام بفحص ملامحهم جميعاً وقياس اعضائهم وتكوينها لاجل مقارنتها بالصفات والخصائص لدى غير المجرمين وقد توصل إلى النتائج الاتية :

١- عدم وجود علامات أو اوصاف تميز مجرمي كل طائفة عن الاخرى أو تميز المجرمين عموماً عن غيرهم .

٢- عدم وجود اي شذوذ في الملامح الخارجية التي تميز المجرم عن غيره .

٣- أن المجرمين يتميزون عموماً عن غيرهم بنقص في الوزن من ٣ إلى ٧ رطل .

٤- أن المجرمين يتميزون عموماً عن غيرهم بقصر القامة من ١ إلى ٢ بوصة .

٥- أن النقص البدني في نظر جورنج انحطاط عام موروث لدى المجرمين يكمن فيه الميل إلى الجريمة وهو يظهر في صفاتهم وفي قياس مستواهم العقلي وان للوراثة دور كبير في ذلك .

مميزات وعيوب تفسير جورنج

اولاً : مزايا النظرية

١- تميزت النتائج بالاهمية وخاصة بالنسبة لفكرة النمط الإجرامي التي نادى بها لومبروزو .

٢- بذل الجهود في الدراسات الاحصائية واتسامها في الدقة والحرص والتصميم البالغ على النتائج المتوخاه .

ثانياً : الانتقادات

١- اقتصرت الدراسة على الذكور دون الاناث مما يعني انطباق النتائج المتمخضة على الذكور فقط . الا أن جورنج ذكر أن نسبة المجرمين الاناث من الاخوات إلى نسبة الذكور من الاخوة هي (٦ -١٥٢) .

وهذا الرأي غير سليم لانه من المفروض أن الميل إلى الجريمة يورث بنفس النسبة التي تورث فيها الخصائص البيولوجية الاخرى وليس هناك ما يدعو لان يختلف هذا الميل من الذكور إلى الاناث .

٢- بالغ جورنج في اظهار دور عامل الوراثة من خلال دراسته لتاثير بعض العوامل البيئية على السلوك الإجرامي .

فقد اظهر مثلاً ضألة تاثير البيئة على الكفاءة العقلية هذا بالاضافة إلى أن دراسته قد تناولت بعض العوامل البيئية وليس جميعها .

٣- أن ما ذهب اليه جورنج من أن النقص البدني يؤدي إلى سلوك المجرمين طريق غير اجتماعي لفشلهم في تحقيق واشباع الحاجات الضرورية بالطرق المشروعة .

أن هذا الرأي غير مقبول لان القوة التي يستخدمها الفرد في تحقيق متطلباته الضرورية ليست هي القوة البدنية وحدها وكما انه لايمكن القول بان كل من يكون ضخم الجسم يتمتع بقوة بدنية عالية وان كل نحيف الجسم لا يتمتع بقدر كاف من القوة لعدم وجود علاقة وثيقة بين القوة البدنية وطبيعة جسم الإنسان بديناً كان ام نحيفاً